

قصة عميد الفنانين السوريين الذي أقعده المرض والشيخوخة

محمد ناجي عبيد لـ «الوطن»: اتحاد الفنانين التشكيليين والنقابة لم يسألوا عني رغم أنني مؤسس ورقم هويتي «٤»

سوسن صيداوي

لا يمكن الرهان على ظروف الحياة، ولا يمكن توقّع ما هو آتٍ في التصيب ومقدّر، وما هو مقسوم لنا، فلا شيء يدوم وكل شيء ماخٍ إلى الزوال، لهذا علينا توشي الحذر أكثر ومراعاة ما قدر لنا، مع فتح أعيننا على حقيقة دائمة ولا يمكن لأي ظرف زعزعتها.. قف هنا... فكلنا إنسان. اليوم ونحن نخرج من هذه الحرب اللعينة، الباقي لكم من إنسانيتكم حافظوا عليه.. واكتفوا بتقديم العون لأخيكم الإنسان الذي يعاني من ظروف كانت أقوى منه.. لا تكفوا بالتباكي.. بل ابتعدوا عن غرور الظهور الزائل، وساعدوا، وخاصة أنكم أصحاب قرار وقادرون، ومن واجبك، بحكم عملكم الوطني السعي لتقديم العون في هذا الوقت الذي يحتاج إلى للمتنا جميعاً، ربما حتى اللحظة الكثير منكم لم يدرك عما نتكلم -باستثناء نظره للصور والعنوان- نعم يا سادة... بعد أن انتشرت صور الفنان المعمر محمد ناجي عبيد في الأوساط الفيسبوكية، وبين التباكي وتراشق الاتهامات والتعيب بعدم تحمل المسؤولية، نحن «الوطن» نهبتنا لنرى حال الفنان، ومن هناك اليك حقيقة الصورة التي قبل معنا إن الفنان يدور شوارع دمشق كي يشهد، بل تابعا حقيقة الألم الموجه والمرارة الذي تخبئه الصورة خلفها.. إلى التفاصيل



وزير السياحة هو من سعى لإدخالي المشفى بعد محاولات مع الهلال الأحمر ومشفى الأسد الجامعي وابن النفيس

في الرواية

على الرغم من إرادة الفنان ناجي عبيد القوية وحبه للحياة إلا أن الطبيعة الجسدية تحكم المرء مع التقدم في سنه، فإدراكه كامل ووعيه تام لكل ما يدور حوله، وسمعته جيد، إلا أن جسده خائنه وهو يعاني اليوم من أمراض الكهولة وكان أصيب بزييف حاد في الجهاز البولي، وعلى أثره يجب نقله المباشر إلى المستشفى كي يتلقى الإسعافات الضرورية، وبين الخوف ورهبة الموقف والسعي للاتصال بالجهات المختصة أو المهية، كان القرار الملائمة الهلال الأحمر، وعندما طلبت زوجة الفنان (رعدا قاسم) سيارة إسعاف، جاء الجواب البارد واللامبالي وبحسب قول الزوجة «نحن لسنا عتالين عندك، استأجري سيارة أجرة، ودعي الجيران يضعوه على كرسيه وينزلوه»، مع الانتباه إلى نقطة مهمة هي أن الزوجة شرحت تماماً وضع الفنان لأنه رجل متقدم بالعمر وفي أثناء وعنته لا يستطيع الجلوس، إضافة إلى أن إنزاله على درج سلم البناء ليس بالأمر السهل، وبعد ترحي الزوجة العميق والإسهاب في الشرح كان جواب موظف الهلال الأحمر ببساطة، بتسكير سماعة الهاتف بوجهها. وحتى عند اتصالها بـ (١١٠) طلب سيارة إسعاف، قالت إنهم يطالبون بأجرة السيارة على الرغم من أن الإسعاف حكومي وتابع للدولة، هذا إن استجابوا للاتصال. بعد الانتهاء من مرحلة النقل للمشفى بدأت المعاناة بإمكانية إدخال الفنان ناجي عبيد إلى المشفى-مشفى الأسد الجامعي ومشفى ابن النفيس. الجهات رفضت استقبال المريض وتتابع الزوجة هنا «على الرغم من أنه كان يتلقى العلاج في مشفى الأسد الجامعي، عند دكتور الصردية ودكتور القلبية، ولديه إضبارة، حتى إنه كان يبقى في المشفى ذاته ليلاي للعلاج أثناء وعنته الصحية، فمن خلال إضبارته تتم متابعة حالته الصحية، لكن الطبيب في الإسعاف رفضت استقباله، وطالبتني بورقة... فقلت لها إن لديه إضبارة، ويمكن الرجوع إليها عبر الكيميوتر، وهذا الكلام كان بين الساعة العاشرة والحادية عشرة ليلاً، وعندما طلبت منها أن تقيمه بالإسعاف وتقدم له العلاج اللازم، قالت الدكتورة: «يمكنني ذلك وسأقدم له العلاج مقابل المال، ولكن عليك أن تهني به إلى مشفى آخر، لأنه لا يوجد في المشفى أسرة متاحة ولا غرف فارغة»، لم ترض الدكتورة بإقائه في الإسعاف حتى الصباح»، وحول كيف تمت المساعدة وإدخال الفنان عبيد لأحد المشافي الخاصة في دمشق تتابع: «الأستاذ مايك

فغالي تدخل من لبنان، وتابعا عبر الهاتف باتصالاته الملحة للسؤال عن أحوال الفنان ناجي، ابتداءً من تأمين سيارة الإسعاف- في هذا الوقت لم يرد علينا أحد من الجهات المعنية سواء في الوزارة أم في النقابة- هو كلف مشكوراً شخصاً اسمه «جورج»، واتصل فغالي مع وزير السياحة بشر اليازجي، الأخير الذي اتصل بي مباشرة، حيث طلب مني الاتصال بأشخاص في انتظاري في الهلال الأحمر وفي غضون عشر دقائق جاءت سيارة الإسعاف. الفضل اليوم في سلامة ناجي عبيد لوزير السياحة بشر اليازجي وللصديق مايك فغالي، الذي لم يتركنا رغم أنه في لبنان ولو عشر دقائق بلا اتصال حتى اليوم، على حين بلدنا هنا، لم يصل بنا أحد سواء من وزارة الثقافة أو اتحاد الفنانين التشكيليين... وعما أصاب الفنان تتابع الزوجة «لقد تحمل الفنان ناجي وجعا كبيراً حيث قمنا له بعملية تجريف في الجهاز البولي من دون أي تخدير، فالآلام التي تعرض لها لا يمكن تحملها، والصورة التي انتشرت عبر الإنترنت، كانت لنا ونحن نجلس في الشارع عند مشفى ابن النفيس لأنهم لم يسمحوا لنا بالدخول، بل طلبوا منا بكل قلب بارد بأن نذهب، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي تعود ونقف على الدور كي ندخل، على الرغم من تعرضه للزرف الشديد لم يدخلوه إلى قسم الإسعاف،

هذا ما حصل مع الفنان ناجي عبيد وهو في هذا المركز، وهنا أقول المواطن البسيط العادي الذي لا يتمتع بأي مركز أو منصب أو حتى بمكانة ماذا سيفعل بحاله، وكيف سيكون وضعه لو تعرض لهذا الموقف؟، وبصراحة ما يؤلمني هو أن الكثير من السوريين المغتربين راسلونا وطلبوا منا أن نرسل لهم جواز السفر، كي يقوموا بعلاجه على حسابهم الخاص، وهنا أسأل أين هم أولاد البلد وهو ابن بلدهم».

الفنان ناجي عبيد في كلمته

في غمرة كلام مترابط وصوت يملؤه الأسى الكبير بما آلت إليه حاله من حاجة يقول الفنان التشكيلي محمد ناجي عبيد «أنا تولد عام ١٩١٨ يعني عمري مئة عام، أنا عميد الفن التشكيلي في سورية والوطن العربي وحتى العالم، فأنا الوحيد من مرحلة الاستقلال حتى اليوم من أوجد لوحة عربية سورية، فمنذ أربعة آلاف سنة لا يوجد لدينا لوحة سورية بفن سوري أصيل، وأيضاً أنا الوحيد من سورية الذي لوحاته مقتناة في المكتبة الوطنية والمجمع العربي في باريس، وكنت حصلت على وسام الاستحقاق الأعلى في سورية، لقد خدمت بلدي ٨٥ عاماً في رسم لوحات الفنانين الجميلة الفن التشكيلي السوري، فحتى أساتذة الجامعات لم يتعلموا الفن التشكيلي السوري، فهم غير



من معاونته إدخالي للمشفى، كي لا أبقي مرمياً في الشارع منتظراً. أنا لا أطلب مساعدات كي أعيش، كل ما أريده كان فقط سيارة لتقلني للمشفى وألقي الرعاية الطبية المناسبة. أنا مواطن طبيعي وشهادتي التي أحملها خير دليل على عطائي لبلدي. أمتني جداً معاملي بهذا الشكل، وكأنتي تكرة أو جرثومة، أو إنسان معاد لبلدي. لقد جاء بعض التجار لشراء الأعمال واستغلال ظرف الصحي الذي أعاني منه وعرضوا علي مبالغ، ولكن بطريقة غير مباشرة علمت بأنهم يريدون أن يتاجروا بفني لبلدان معادية لنا، حاولوا استغلال ظرف والحصار الذي نعانيه. أنا أحب الرسم فهو روحي، بعد تخريجي من المشفى بساعتين وجدت نفسي مرتاحاً طلبت الألوان فرسمت أربع لوحات».

وعن الحركة التشكيلية السورية ونقده لزملائه الفنانين يتابع الفنان ناجي «لأسف كل أعمال الفنانين التشكيليين السوريين هي اجترار لأعمال الفنانين الغربيين في العالم، وكل بحسب البلد الذي يعيش فيه أو يزوره أو يتابع فنانيه، وبرأيي لا يوجد في سورية إبداع، بل هو نسخ عن الغرب، ولأسف في سورية لا يعملون في كلية الفنون الجميلة الفن التشكيلي السوري، فحتى أساتذة الجامعات لم يتعلموا الفن التشكيلي السوري، فهم غير

الرسم هو روجي... وبعد تخريجي من المشفى بساعتين طلبت الألوان ورسمت أربع لوحات

عالمين بمهامة الفن السوري واللوحة السورية».

إهمال متفش في اتحاد الفنانين التشكيليين

في سؤال عن الاهتمام من الجهات المختصة سواء وزارة الثقافة أو اتحاد الفنانين التشكيليين جاء الجواب على الشكل التالي «أنا لسنا بتناكر للجمل، فلقد زارني الكثير من الشخصيات المعنية في البلد وكزمتني، وقبل عام تقريباً وزير الثقافة كرمني بزيارة بيتي إضافة إلى إقامة معارض تحمل اسمي. ولكن معاملي بهذا الشكل وعدم توفير سيارة إسعاف تقلني أمر أمتني كثيراً، ولأسف لو كنت في بلد آخر فلن أعمل بهذا الشكل. اتحاد الفنانين التشكيليين وحتى النقابة لم يسألوا عني حتى اللحظة، على الرغم من أن رقم هويتي بالنقابة (٤) - أنا عضو مؤسس، هذا النكران من أبناء وطننا مؤلم وأنا بحاجة إلى نظرة من التعبير والتقدير، ربما لا يجوبني على سعيد شخصي، لو كنت أتقرب منهم بطريقة تتناغم مع مبادئ وقناعاتي لكانت أحوالي أحسن بكثير. عزائي ورجائي كبير بأعمالي الجيدة لبلدي».

لسورية العظيمة حلو الكلام

في نهاية حديثنا وعندما طلبت منه أن يقول كلمة لسورية، عيون الفنان عبيد مع تعابير وجهه كلها ضحكت كما قلبه وقال «لطالما كانت وسيتقى سورية متميزة عن كل البلدان العربية والأجنبية لعطاءاتها اللامحدودة، بل سورية هي جوهرة الوطن العربي. أنا ابن سورية، ولأسف قلّة من المواطنين السوريين يسعون لاقتناء اللوحات التشكيلية ويسعون لشراؤها، الأمر الذي عكس سلباً على حياتي المعيشية، وخاصة أنني أغار على أعمالي، وأرفض أن يتابع لمن هو معاد لبلدي بالدرجة الأولى وغير مهتم بالفن التشكيلي السوري -بالدرجة الثانية- مهما كان المبلغ باهظاً، للأسف الشديد المحبة لسورية دخلت فيها المصلحة والمكاسب، وأشياء أخرى كثيرة، نحن نحارب وسط معركة صعبة، وعلى قدر تكاتفنا بعضنا مع بعض على قدر ما شكلنا صموداً قوياً كي نستطيع إيقاف الاعتداءات. في سورية طاقات هائلة في المجالات كافة، سورية متكاملة تقريباً، إنني أمل لسورية المجد الحقيقي والتخيط الصحيح والعلمي الذي يفيد الشعب وقيادته، وعندي إيمان بأن تعود سورية معلماً فاعلاً من أعلام الأمة العربية، وأدعو كل الشباب والمعنيين إلى ألا يستغلوا أخطاء غيرهم سواء أكانت مقصودة أم عفوية، وأن يجنوا سورية فهي جديرة وتستحق هذا الحب».

رنا جمول: المسرح هو فضائي الرحب وهو اختياري الأول

هنا أبو أسعد

وهي طالبة في المعهد العالي للفنون المسرحية كان لها خطوتها الأولى في عالم الفن، حيث قدمها المخرج عبد اللطيف عبد الحميد فنانة شابة موهوبة من خلال فيلمه السينمائي «سائل شفهي» إلى جانب الفنان فايز قزق، وقد جعلها هذا الدور نجمة وحاضرة في ذاكرة الجميع، تمتاز أدوارها بالحس الإنساني الرفيع ما يجعلها قريبة من الجمهور، إنها الفنانة المتألقة رنا جمول التي كان لنا معها هذا الحوار الشيق حيث استحضرننا فيها مراحل تجربتها الفنية والبدائية كانت مع السينما.



من مسلسل «زئود الست»

الدور؟ ورايك في هذا النموذج من الشخصيات؟ نعم صحيح، المسرح هو فضائي الرحب وهو اختياري الأول فأنا تخرجت كما ذكرت من معهد الدراسات المسرحية، وكان المسرح عامراً بفترة السبع سنوات من الحزب يعرض تحاكي واقعا القاسي الحزناً جداً، وقد عملت مع المخرج مأمون الخطيب ثلاث مسرحيات تتدرج مع تدرج الوضع العاطفي والفعل في اللد، في المسرحية الأولى «نبض» كان الموضوع أمهات الشهداء وراي كل واحدة منهن في ذكرت في حديث صحفي سابق أنك تحبين العمل في المسرح وأن المسرح هو هاجسك الوحيد وقلت أيضاً بأن الدراما التلفزيونية لن تبعيدك عن عشقك للمسرح... وكان لك أدوار مهمة في المسرح منها «تقاسيم على العنبر، المتوحشة، مابكث، خواطر، كوشرتو، الليغرو، زيتون، نبض... وغيرها»، في نبض كنت متألقة بحسب الإنسانية بقدراتك ابنتك الوحيد (فادي)، بعدما بذلت عمر كلّه في تربيته، إلى أي مدى كان هذا العود قريباً من إحساسك الأمومي؟ وفي مسرحية «زيتون» كنت شخصية متناقضة، وطنية ومحبة للبلد، لكك تزيدين السفر إن سحتك لك الفرصة، ما رسالتك من خلال هذا

تعيش في مجتمع لا يعترف بأي دور أو حق للمرأة، وهنا مرة أخرى طبع اسمك في ذاكرة المشاهدين، وتناقلت الأعمال زئود الست- قلبى معكم - عشتر- ربيع قرطية - الزير سالم - وشاء الهوى - عصي الدمع - أحلام كبيرة - التغييرية الفلسطينية - أهل الراهية... وغيرها الكثير شخصيات متنوعة وطلقي فيها الحس الإنساني، فهل هذا يشبه رنا في الحياة العادية؟ وهل تجدين نفسك في البيئة الاجتماعية أم الدراما استقطبت الكثيرين من النجوم؟ تتماهى الأدوار التي أؤديها مع جوانب من صفاتي كإنسانة وتبتعد غالباً فكم من دور أديته وهو لا يشبهني إطلاقاً مثل دوري في مشاريع صغيرة للمخرج منى الصبح حيث لعبت دور رابعة وهي امرأة متسلطة مع غرور وغياء وميدي ومثلاً دوري في رجال تحت الطربوش

للخطف مع مجموعة من أفراد القرية وهو حدث واقعي في قرى اللاذقية. أما بالنسبة لعدم انتشار السينما كالدراما عندنا اعتقد أننا بحاجة لإنتاج أفلام تتضمن مواضيع حياتية معاصرة تعكس اهتمامات الجيل وتعبير عنه.

منذ سنوات دراستك في المعهد شاركت في دلجة بعض أفلام ومسلسلات الرسوم المتحركة التي تركت أثرها العميق عند الجميع منها نعيم في أبطال الديجيتال في الجزء الثالث- وبياناك وريو في عهد الأصدقاء - مام في داي الشجاع- وكاسبر في كاسبر- وسندريلا في فيلم سندريلا، وبعد التخرج قمت بالمشاركة في العديد من المسلسلات المدبلجة.. هل تجدين بأن تلك المسلسلات تؤثر في

عشقك للمسرح هل دفعك للإخراج؟ نعم أنا الآن أعمل على نص أريد أن أخرج للمسرح، ربما يرى النور في العام القادم.

• كلمة أخيرة، وأمنية؟ - كلمه أخيره سأقولها بالعامية: «مين ترك دارو قل مقدار» هذه سورية التي أعطتنا كل ما نحلّم به، ولكن حسب ما يريد، وما زالت تعطينا، فلماذا لا تعاملها بالمثل وتعطينها كما أعطتنا؟ علينا أن نساعد في نهوضها كل حسب معرفته وإمكانياته.

انتشار الدراما العربية؟ بالنسبة لدلجة أفلام الكرتون فهذا فن استمتع كثيراً بألقام به وهو عمل شاق ويتطلب جهداً ومهارات صوتية كبيرة، والدلجة للمسلسلات الدرامية نعم تحقق في الانتشار والمتعة.

وبالنسبة لسؤالك عن تأثير الدراما المدبلجة في الدراما، أقول ربما تؤثر في إنتاج الدراما السورية ولكن باعتقادي لكل نوع من الفنون سوقه.

بعد السينما، دخلت عالم التلفزيون والدراما مع المخرج محمد عزيزية بأول مسلسل «اللوحه الناقصة» وكان دوراً ليس سهلاً وأنت في بداية مشوارك الفني، حيث أدبت فيه دور فنانة مشوهة ومعقدة نفسياً، ومن بعدها حصلت على البطولة مع المخرج لطفي لطفى في «دمشق» على بسمة الحزن» للأديبة الراحلة ألفت الأدلبي وكنت الشابة صبرية التي تتحلى بالصبر وهي